تفسير إبن كثير

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ

وقوله : (وجعلنا السماء سقفا) أي : على الأرض وهي كالقبة عليها ، كما قال : (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) [الذاريات : 47] ، وقال : (والسماء وما بناها) [الشمس : 5] ، (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) [ق : 6] ، والبناء هو نصب القبة ، كما قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " بني الإسلام على خمس " أي : خمس دعائم ، وهذا لا يكون إلا في الخيام ، على ما تعهده العرب .(محفوظا) أي : عاليا محروسا أن ينال . وقال مجاهد : مرفوعا .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث - يعني ابن إسحاق القمي - عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال رجل : يا رسول االله ، ما هذه السماء ، قال : " موج مكفوف عنكم " إسناد غريب .وقوله : (وهم عن آياتها معرضون) ، كقوله : (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) [يوسف : 105] أي : لا يتفكرون

فيما خلق االله فيها من الاتساع العظيم ، والارتفاع الباهر ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها ، وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله ، في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها .وقد ذكر ابن أبي الدنيا ، رحمه االله ، في كتابه " التفكر والاعتبار " : أن بعض عباد بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة ، وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته غمامة ، فلم ير ذلك الرجل شيئا مما كان يرى لغيره ، فشكى ذلك إلى أمه ، فقالت له : يا بني ، فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه ، فقال : لا واالله ما أعلم ، قالت : فلعلك هممت؟ قال : لا ولا هممت .

قالت : فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر؟ فقال : نعم ، كثيرا . قالت : فمن هاهنا أتيت .